Theories and criticism in Arabic literature
The Five Year, Issue 20, 2026
Pp19-40
Research Paper
DOI: 10.22034/jral.2026.587666.1111

The Employment of Natural Symbols and Their Semantic Functions in They Have One Exile by Abdulsada Al-Basri

Asil Jassim Abbas Ahmed Al-Sharifi[1]

(Received: 2026/05/19, Accepted: 2026/06/25)

Abstract

Natural symbols are among the most prominent artistic features of contemporary Arabic poetry, serving as an expressive medium through which poets employ elements of nature to convey their intellectual and emotional visions while enriching poetic texts with multiple symbolic and aesthetic meanings. Abdulsada Al-Basri's poetry collection *They Have One Exile* represents a remarkable example of this poetic practice, in which natural elements are transformed into an integrated symbolic system expressing identity, memory, and existence, thereby shaping the poet's artistic experience. Accordingly, this study aims to identify the major natural symbols employed in the collection and to analyze their semantic and artistic functions within their poetic contexts. The study adopts a descriptive-analytical approach by examining selected poems from the collection to explore the patterns and meanings of natural symbolism. The findings reveal that Al-Basri employs plant symbols, such as the date palm, cypress, and sidr tree, to represent southern identity, belonging, and resilience. Water symbols, particularly the sea and rain, convey meanings of existence, renewal, hope, and liberation. Likewise, animal and bird symbols, especially the seagull and the phoenix, symbolize freedom, rebirth, and the ability to overcome suffering. Natural phenomena, such as the sun and the night, exhibit dual symbolic functions: the sun signifies life and strength in some contexts, yet oppression in others, whereas the night simultaneously evokes fear and hope. The study concludes that natural symbols in this collection are not merely ornamental devices but constitute a coherent semantic structure that deepens the poet's vision and enhances the intellectual and aesthetic dimensions of his poetry.

Keywords: Symbols, Nature, Connotation/Semantics, Abdulsada Al-Basri, Poetry Collection (They Have One Exile).

[1] Assistant Lecturer at the Capital of Culture Intermediate School for Girls, Iraq. Email: asil_sharifi@gmail.com

التنظيرات والنقد في الأدب العربي
السنة الرابعة، العدد ٢٠، شتاء
١٤٠٤هـ، ٢٠٢٦م، صص٤٠-١٩

مقاله بحثيه

DOI: 10.22034/jral.2026.587666.1111

توظيف الرموز الطبيعية ودلالاتها في ديوان (لهم تغريبة واحدة) للشاعر عبدالسادة البصري

أسيل جاسم عباس أحمد الشريفي *

(تاريخ الوصول: ١٤٠٥/٠٢/٢٩، تاريخ القبول: ١٤٠٥/٠٤/٠٤)

المخلص

تُعدّ الرموز الطبيعية من أبرز السمات الفنية في الشعر العربي المعاصر، إذ تمثل وسيلةً تعبيرية تُمكّن الشاعر من توظيف عناصر الطبيعة للكشف عن رؤيته الفكرية والوجدانية، وإثراء النص الشعري بدلالات جمالية ورمزية متعددة. ويُعدّ ديوان «لهم تغريبة واحدة» للشاعر عبد السادة البصري نموذجاً بارزاً لهذا التوظيف، إذ تتحول فيه عناصر الطبيعة إلى منظومة رمزية تعبّر عن الهوية والذاكرة والوجود، وتسهم في بناء التجربة الشعرية. ومن هذا المنطلق، يهدف البحث إلى الكشف عن أبرز الرموز الطبيعية في الديوان، وتحليل وظائفها الدلالية والفنية في ضوء سياقاتها الشعرية. اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي–التحليلي، من خلال تحليل نماذج مختارة من قصائد الديوان للكشف عن أنماط الرموز الطبيعية ودلالاتها. وأظهرت النتائج أن الشاعر وظّف الرموز النباتية، مثل النخلة والسرو والسدر، للتعبير عن الهوية الجنوبية والانتماء والصمود، بينما حملت الرموز المائية، كالبحر والمطر، دلالات الوجود والتجدد والأمل والتحرر. كما مثّلت الطيور والرموز الحيوانية، ولا سيما النورس والعنقاء، معاني الحرية والانبعاث واستعادة القدرة على مواجهة المعاناة. واتسمت الظواهر الطبيعية، كالشمس والليل، بازدواجية دلالية؛ فالشمس ترمز إلى الحياة والقوة، وقد تشير في سياقات أخرى إلى القهر، في حين يجمع الليل بين معاني الخوف والرجاء. وتؤكد الدراسة أن الرموز الطبيعية في الديوان تمثل بنية دلالية متماسكة أسهمت في تعميق الرؤية الشعرية وإثراء أبعادها الفكرية والجمالية.

الكلمات المفتاحية: الرموز، الطبيعة، الدلالة، عبد السادة البصري، ديوان «لهم تغريبة واحدة».

١ . مدرس مساعد في متوسطة عاصمة الثقافة للبنات، العراق. البريد الإلكتروني: asil_sharifi@gmail.com

١.مقدمة

تُعدُّ الرموز الطبيعية من أبرز السمات الفنية في الشعر المعاصر، حيث تشكل أداة تعبيرية بالغة العمق والإيحاء، تتيح للشاعر تجاوز المباشرة إلى فضاءات التأويل والغموض الخلاق. وقد أولى الشعراء المعاصرون هذه الرموز اهتماماً بالغاً، لما توفره من سعة دلالية تمكنهم من التعبير عن تجاربهم النفسية والوجودية المعقدة. ويأتي ديوان "لهم تغريبة واحدة" للشاعر عبدالسادة البصري كمثال متميز على توظيف هذه الرموز، حيث تتحول عناصر الطبيعة إلى نظام دلالي متكامل، يعكس رؤية الشاعر للعالم والوجود.

تسعى هذه الدراسة إلى تحليل توظيف الرموز الطبيعية في ديوان الشاعر البصري، من خلال الإجابة عن أسئلة محورية تتعلق بأنماط هذه الرموز ودلالاتها المختلفة. وتهدف إلى الكشف عن الأبعاد الجمالية والفكرية التي تحققها هذه الرموز في تشكيل الرؤية الشعرية. كما تسعى إلى تحديد الأهداف الفنية والموضوعية التي قصدها الشاعر من وراء هذا التوظيف الرمزي المكثف لعناصر الطبيعة.

يعتمد البحث على المنهج الوصفي– التحليلي في تتبع الأنماط الرمزية بمختلف تجلياتها النباتية والمائية والحيوانية والظواهر الطبيعية. ويستند إلى إطار نظري يستعرض مفهوم الرمز وتطوره في الشعر المعاصر، مع الاستفادة من الدراسات السابقة في هذا المجال. ويأتي هذا البحث مساهمة في الكشف عن البنية الرمزية في شعر البصري، وإبراز خصوصية توظيفه للرموز الطبيعية في التعبير عن الهوية الجنوبية والهم الإنساني.

١–١أسئلة البحث

إنّنا في هذه الدراسة نسعى إلى الإجابة عن الأسئلة التالية:

١– ما أبرز الرموز الطبيعية في ديوان (لهم تغريبة واحدة) للشاعر عبدالسادة البصري؟

٢– ما أهمّ دلالات هذه الرموز في ديوانه؟

٣– ما أهداف الشاعر من توظيف هذه الرموز في نصوصه الشعرية؟

٢–١.خلفية البحث

من الدراسات التي عالجت موضوع الرموز خاصة الرموز الطبيعية نذكر ما يلي:

– أطروحة دكتوراه بعنوان (الرمز ودلالاته في القصيدة العربية المعاصرة — قراءة في الشكل — خليل حاوي أنموذجاً) للباحثة يوسفي سوهيلة (جامعة الجيلالي اليابس — سيدي بلعباس، الجزائر، ٢٠١٨م)، والتي ركَّزت على تحليل الرموز الطبيعية كالمطر والريح والليل، بالإضافة إلى الرموز الأسطورية والدينية، وكيفية توظيفها في بناء الدلالة الشعرية.

– أطروحة دكتوراه بعنوان (الرمز الصوفي في شعر محمود درويش) للباحثة هدى عبد الله جامعة القاهرة، ٢٠١٩م. حللت الرموز الصوفية (كالجنون والضياء والظلام) في شعر درويش؛ وقد ربطت بين الرمز الصوفي والخطاب السياسي في قصائده الأخيرة.

– رسالة ماجستير بعنوان (الرمز الديني في شعر محمد بلقاسم خمار) للباحثة عزاوي مبروكة (جامعة العقيد أحمد دراية أدرار، الجزائر، ٢٠١٣م)، التي حلَّلت الرموز الصوفية والتاريخية، مع تركيز خاص على رموز الأماكن المقدسة والشخصيات الإسلامية، وكيفية تحويلها إلى أدوات تعبيرية ذات أبعاد روحية واجتماعية.

– رسالة ماجستير بعنوان (الرمز الأسطوري في شعر أدونيس) للباحث أحمد محمد علي في جامعة دمشق، ٢٠١٦م. ركزت الدراسة على تحليل توظيف أدونيس للرموز الأسطورية (الفينيقية واليونانية والشرقية) وكيفية توظيفها في تشكيل رؤيته الحداثية؛ كما تناولت رمزية "تموز" و"عشتار" وعلاقتها بالهوية والثورة في شعره

– ومقال موسوم بـ (الرموز الطبيعية ودلالاتها في شعر يحيى السماوي) للباحث حسين مهتدي ورسول بلاوي في العدد الثاني من مجلة اللغة العربية وآدابها عام ٢٠١٥م. وكانت أبرز الرموز المدروسة في هذا البحث هى ظواهر طبيعية كالنخلة، والنهر، والبحر، والمطر، والليل، والريح، والصحراء، والشمس، والقمر. ويرى الباحثان أن هذه الرموز تستمد حيويتها وقيمتها من خلال تعامل الإنسان معها. ويستوحيها الشاعر من واقع الإنسان وعلاقته بهذه الرموز التى تحمل مدلول استمرار الحياة والأمل والوطنية التلقائية.

– مقال نقدي بعنوان (فاعلية الرموز الطبيعية في شعر الأطفال لسليمان العيسى) للباحثة زهراء فريد، منشور في مجلة إضاءات نقدية، العدد ٣٤، ٢٠١٩م، حيث استخدم المنهج الوصفي – التحليلي لدراسة توظيف الرموز الطبيعية في شعر الأطفال، وكيفية تحويلها إلى وسائل تعليمية وجمالية تلامس مخيلة الصغار.

– ومن الدراسات التي أنجزت عن الشاعر عبدالسادة البصري، دراسة تحمل عنوان (عناصر سوسيولوجية الأدب وتجلياتها في أشعار عبدالسادة البصري)، للباحث علي خضري وآخرين (١٤٤٠هـ) وقد تم نشرها في مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد ٢. وقام قام الباحثون بدراسة العناصر الاجتماعية في أشعار البصري.

٢. مفهوم الرمز ودلالاته

وردَ مفهوم الرمز في المعاجم العربية بعدة دلالات متقاربة، تكاد تتفق في جوهرها على فكرة الإشارة الخفيّة أو التلميح غير المباشر. فقد جاء في لسان العرب لابن منظور تحت مادة (رَمَزَ) أن الرمز هو: «تصويت خفي باللسان كالهمس، ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت إنما هو إشارة بالشفتين، وقيل الرمز إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفتين والفم» (ابن منظور، ٢٠١٦: ٣٥٦). والرمز في اللغة «كل ما أشرت إليه مما يبان بلفظ بأي شيء أشرت إليه بيد أو بعين فتقول: رَمَزَ– يَرمُزُ– رَمزا، والرَمزُ والتَرميزُ في اللغة يعني الحزم والتحرك»(ابن منظور، ٢٠١٦: ٣٥٧). وهو «الإشارة أو الإيماء أو العينين أو الحاجبين أو الفم أو اليد أو اللسان» (الفيروزآبادي، ١٩٥٢: ١٧٧). ويخصص الزمخشري في أساس البلاغة فيجعل الغمز باليد والهمز بالعين واللمز بالفم والرمز بالحاجبين والشفتين «جارية غمازة بيدها همازة بعينها لمازة بفهمها رمازة بحاجبها، وقال: كلمه رمزا بشفته وحاجبيه» (الزمخشري، ٢٠١٤: ٣٨٥).

وفي التهذيب للأزهري فالرمز يعني: «الحركة والتحرك... كما يقال للجارية الغمازة بعينها رمازة أي ترمز بفمها وتغمز بعينها...» (الأزهري، ٢٠١٧: ١٤١). وجاء في المعجم الوسيط: «الإيماءة والإشارة والعلامة، وفي علم البيان: الكناية الخفية» (أنيس وآخرون، ١٩٧٢م: ٣٧٢). ويرى القيرواني «إن أصل الرمز هو الكلام الخفي الذي لا يكاد يفهم ثم استعمل فصار إشارة» (القيرواني، ١٩٦٣: ٣٠٩). ويرى بعضهم أن أصل الرمز هو الصوت الخفي الذي لا يكاد يفهم.

وقد يرى إبراهيم فتحي في معجم المصطلحات الأدبية أن الرمز «شيء يعتبر ممثلاً لشيء آخر وبعبارة أكثر تخصيصا فإن الرمز كلمة أو عبارة أو تعبير آخر ذو معان مركبة، وبهذا المعنى ينظر إلى أن الرمز باعتباره يمتلك قيما تختلف عن القيم أي شيء يرمز إليه كائناً ما كان» (فتحي، ١٩٨٦: ٨٧٨). يعرف الرمز في معجم المصطلحات البلاغية: «فهو ما أخفي من الكلام...»(مطلوب، ١٩٨٧: ٢٣). فالرمز هو: «الصوت الخفي، وهو مرادف أيضاً للغمز بالحاجب، والإشارة بالشفة وسبيل التعبير عن تلك الإشارات هو الرمز، وهو لدى الخليل: تصويت خفي باللسان كالهمس أو إيحاء وإشارة بالعينين أو الحاجبين أو الشفتين»(كعوان، ٢٠٠٩: ٢٠).

إنّ الرموز متنوعة ومتعددة، تتجلّى في عدة مجالات، أمّا ما استنتجناه من خلال ما سبقَ، فقد يتحدّد مفهوم الرمز، إذ هو عدم الوضوح والإشارة والخفاء، أو بعبارة أخرى، الكلام الخفي الذي يتعذر فهم معناه ويكون الرمز هو سبيل التعبير عن تلك الإشارات والخفاء. تتنوع الرموز وتتعدد تجلياتها عبر المجالات الأدبية والفنية والثقافية، حيث لا تقتصر على شكل واحد بل تتّخذ أشكالاً مختلفة تبعاً لسياقاتها ودلالاتها. فالرمز هنا لا يقدم المعنى جاهزاً، بل يترك للمتلقي مهمة اكتشافه عبر التأويل والتحليل، ممّا يضفي على النص غنىً دلالياً وإيحائياً. وهو بهذا المعنى يصبح وسيلة تعبيرية تتجاوز حدود اللغة المباشرة، لتحمل في طياتها مضامين عميقة قد يصعب التعبير عنها صراحةً، سواء بسبب قيود سياسية أو اجتماعية، أو سعياً وراء بلاغة خاصة تقوم على الإيحاء والتكثيف. وهكذا يتحوّل الرمز إلى جسرٍ بين المعلن والمسكوت عنه، بين الظاهر والخفي، ممّا يجعله أداةً فنيةً بالغة الأهمية في يد المبدع لنقل أفكاره ومشاعره بطرق مبتكرة تثير فضول القارئ وتدفعه إلى التفاعل مع النص بشكل أعمق.

في النصوص الشعرية المعاصرة أصبح الرمز تقنية إيحائية من أبرز تقنيات التصوير الشعرية التي أوجدها المبدع المعاصر من خلال سعيه وراء كشف تقنيات تعبيرية حديثة، يرفد بها اللغة الشعرية، ويجعلها قادرة على الإيحاء بما يصعب على التحديد والوصف من عواطفه ومشاعره وأبعاد رؤيته الشعرية المختلفة، فالرمز إذن مكاشفة شعرية حديثة (عشري زايد، ١٩٧٧: ١٠٤)؛ وتأتي أهمية تلك المعطيات المنجزة من خلال قدرة الشاعر على اكتشاف شفافيتها وقدرتها على البوح بما ينسجم ودلالة الصورة المعبر عنها إن أغلب الكلمات تشير إلى شيء

ما أو تجربة ما، وإنّما توحي كذلك إلى موقف عاطفي خاص بها يحاول المتكلم أن يعتّمه على السامع الذي يريد معرفته ويود مشاطرته معناه (كرج، ٢٠٠٤: ٦٦).

يُعدّ الرمز من أبرز الخصائص الجمالية في الشعر الحديث، حيث تحوّل إلى أداة تعبيرية مركزية أولع بها الشعراء المعاصرون فأبدعوا في تشكيلها وتطويرها. وقد غدت الرموز بمختلف أشكالها وأنماطها عنصراً جوهرياً يهيمن على البنية الفنية للإبداع الشعري المعاصر، ممّا دفع الشعراء إلى الإفادة منها ببراعة فائقة، نظراً لما تتيحه هذه الرموز من سعة دلالية تتيح احتواء التجارب الشعرية بمختلف أبعادها. ولم يكن إقبال المبدعين على توظيف الرموز اعتباطياً، بل جاء خدمةً لأبعاد جمالية ودلالية عميقة، تتيح التعبير عن خلجات النفس الإنسانية وأعماقها المكنونة؛ كما أنّ هذه الرموز لا تكتمل دلالاتها إلا بمشاركة القارئ الفاعلة في عملية تأويل النص وتفجير طاقاته الدلالية، ممّا يجعل العملية الإبداعية حواراً تفاعلياً بين المبدع والمتلقي، «فهو يقوم بدور المشارك والمحاور» (عبو، ٢٠٠٠: ٤٢).

ولارتباط الرمز بالإنسان قديماً وحديثاً يصعب تجاهله أو الاستغناء عنه وكل شاعر حديث يتّخذ الرمز وسيلة يختصر بها الصيغ الكلامية لتصل إلى غايته بأيسر السبل، «باعتبار أن الرمز ليس محاكاة للواقع الجامد، بل هو استكناه له وتحطيم لعلاقات الطبيعة، من هنا كانت حركية الرمز وحيويته وإيحاؤه» (أحمد، ١٩٧٧: ٤٢).

يُعرَف الرمز اصطلاحا بأنه اللفظ القليل المشتمل على معانٍ كثيرة بإيماء إليها أو لمحة تدلّ عليها، يرتبط بالدلالة ارتباطاً وثيقاً؛ إذ الرمز يتّخذ معنى وقيمة مما يدل عليه ويوحي به، فقد اتّخذه بعض فلاسفة الإغريق القدامى ومن بينهم سقراط وأفلاطون وسيلة لـ «التعبير عن الانطباعات النفسية، عن طريق الألغاز والتلميح بدلاً من الأسلوب التقريري المباشر، وذلك أن دعاتها وجدوا أن العقل عاجز عن الوصول إلى الحقائق وأن العلم لا يمكن إشباع رغبة الإنسان لمعرفة أسرار الكون» (التونجي، ١٩٩٩: ٤٨٨). ومن النقاد القدامى الذين أشاروا للرمز من باب الغموض نجد القرطاجني «إذ يقر أن بعض أنواع الغموض لابد أن يتوفر في الشعر مثل: اللغز والكناية والإشارات إلى الأحداث الماضية والقصص» (الكواز، ٢٠٠٦: ٣٦١).

وفي مفهوم آخر للرمز قول الرماني: «الرمز الأدبي هو ليس إشارة إلى مواضعة أو اصطلاح إنّما أساسه علاقة اندماجية بين مستوى الأشياء الحسية الرامزة، ومستوى الحالات المعنوية المرموز إليها، وعلاقة التشابه هنا تنحصر في الأثر النفسي لا في المحاكاة، من ثم فهو يوحي ولا يصرح، يغمض ولا يوضح» (رماني، ٢٠٠٨: ٣٣٨). ومنهم من يعرفه على أنه «لحظة انتقالية من الواقع إلى صورته المجردة، وهو الإطار الفني الذي يتم فيه الخروج من الانفعال المباشر إلى محاولة عقلنته وهو تجسيم للانفعال في قالب جمالي» (رماني، ١٩٨٥: ١٦٧).

ومن الآراء العربية الحديثة حول مفهوم الرمز نجد قول عشري زايد: «الرمز الشعري والأدبي عموماً عبارة عن إشارة مجازية لشيء لا يقع تحت الحواس» (عشري زايد، ١٩٩٧: ١٠٥). ويقول مصطفى ناصف في تعريفه

للرمز: «إن كلمة الرمز قد تستعمل للدلالة على (المثال)، كأن يعبر فرد عن طبقة ينتمي إليها، وقد يراد بها إنابة القليل عن الكثير أو الجزء عن الكل» (ناصف، ١٩٨٣: ١٥٢).

نجد الشعراء المبدعون يرتقون باللغة إلى مقام الرمزية «وتكمن أهمية الرمز عموما على حد تعبير أحد الباحثين في أنه تعاضدي، يشتغل في إطار النص الأدبي فيعززه ويقويه، لأنه ظاهرة فكرية» (بوسقطة، ٢٠٠٨م: ٤٥). قدّم الشعراء مضامين أشعارهم بقوالب فنية ابتعدوا من خلالها عن السطحية والمباشرة، وغاصوا في اللغة الرمزية ليجدوا فيها ما يساعدهم عن الأفكار التي يريدون التعبير عنها، فالرمز مشحون «بالدلالات التي يمكن للشاعر تفجيرها في نصه إذا كانت هذه الدلالات متفقة إلى حد ما مع تجربته الشعرية» (الأمين، ٢٠٢٠: ٤).

٣. الرموز الطبيعية

تُمثل الرموز الطبيعية في الشعر العربي المعاصر أداة تعبيرية غنية تمنح النص الشعري عمقاً وجمالاً، حيث يستلهم الشعراء من عناصر الطبيعة كالأشجار والأنهار والحيوانات رموزاً تعبّر عن مشاعرهم وأفكارهم. فالشاعر ابن بيئته، يستخدم هذه العناصر ببراعة ليعكس رؤيته الخاصة ويلوّن قصائده بدلالات وإيحاءات تتناسب مع تجاربه النفسية والاجتماعية. تختلف هذه الرموز من شاعر لآخر، فكل مبدع يعيد صياغتها وفقاً لخياله وأسلوبه، ممّا يجعل الطبيعة مصدراً لا ينضب للإلهام، تتحوّل فيه العناصر البسيطة إلى رموز كونية تحمل في طياتها معانيَ عميقةً تلامس وجدان المتلقي.

ظلّت العلاقة بين الشاعر والطبيعة علاقةً حميمةً مليئةً بالتفاعل والتأثر، حيث تتحوّل الطبيعة إلى مرآة تعكس أحواله النفسية وتجربته الوجودية. لذا «تُعد الطبيعة وساطة نقل لتخفيف الصدمة النفسية للشعور بمشاركتها للشاعر في ضياعه وحزنه» (الشمري، ٢٠١٣: ١٦٠). فمن خلال الرمز الطبيعي، يستطيع الشاعر التعبير عن الفرح والحزن، الثورة والسلام، مستخدماً تقلبات الطبيعة كالرياح والعواصف والهدوء لتجسيد حالاته الداخلية. «فالشاعر يستمد رموزه من الطبيعة، ويخلع عليها من عواطفه ويصبغ عليها من ذاته مايجعلها تنفث إشعاعات وتموجات تضج بالإيحاءات» (رشيدة، ٢٠٠٦: ٥٦).

وهكذا تصبح الطبيعة لغةً عالميةً يفهمها الجميع، حيث يجد القارئ في رموزها صدىً لتجاربه الخاصة. هذا التفاعل بين الذات الشعرية والطبيعة لا يقتصر على الوصف المباشر، بل يتجاوزه إلى خلق عالم رمزي مليء بالإيحاءات، ممّا يمنح النص الشعري قوةً وجمالاً خالدين. «والرمز الطبيعي يقصد به ما أخذ من الطبيعة صحرائها وينابيعها وزهرها، حيث إنّ الشعراء يسقطون على هذه الرموز ذواتهم» (نشاوي، ١٩٨٤: ٤٨٢). ومن الواضح أن «الطبيعة توحي للشعراء في كل عصر بكثير من المعاني والآثار الأدبية الرائعة، وقد افتتن بها الشعراء وصوروها في مختلف مظاهرها» (الخفاجي، ١٩٩١: ١٩٣). يُمثّل الرمز الطبيعي جسراً شعرياً حياً ينقل أعمق المشاعر والأفكار بلغة كونية بليغة، حيث يحوّل الشاعر عناصر الطبيعة من أشجار ورياح وأزهار إلى رموز نابضة تعكس

خلجات نفسه وتجربته الوجودية، فيتحول الغروب إلى حزن والعاصفة إلى ثورة، مكوّناً لغةً فنيةً تختزل المعاني الكبيرة في إيماءات طبيعية مؤثرة تلامس وجدان المتلقي دون حاجة إلى التصريح.

– دلالات الرموز النباتية

تُشكِّل الرموز النباتية في شعر عبد السادة البصري عالماً دلالياً غنياً، يحيل إلى الموروث الثقافي والجغرافي للجنوب العراقي، حيث تتحول هذه العناصر إلى كيانات حية تحمل هموم الإنسان وتاريخه. فالنخلة، بوصفها رمزاً مركزياً، لا تمثل مجرد شجرة، بل تتحول إلى كائن عطوف يمنح الوئام ويوفر الظلال الواقية، مجسدة بذلك روح الجماعة والتضامن الاجتماعي. كما تندمج هذه الرموز في بوتقة واحدة مع مكونات البيئة الأخرى، مثل البحر والحناء، لتشكل هوية مكانية متكاملة، تختزل حلاوة الذاكرة ودفء الانتماء.

وتمتد دلالات هذه الرموز لتشمل تجارب الذات الشاعرة الوجودية، حيث تتحول القدمان المتعبان إلى شجرتي سرو، رمزاً للصمود والخلود في مواجهة مشقة الرحلة. وفي المقابل، تحمل أشجار مثل السدر دلالات الحنين إلى الماضي والارتباط بالأصل والتراث، بينما يعكس غبار الحروب ونبات الرّيحان التباين بين واقع مرير وطموح إلى جمال ونقاء. هكذا، تؤسس هذه الرموز النباتية شبكة معقدة من الدلالات، تربط بين الذات والجماعة، وبين الماضي والحاضر، وبين جراح الواقع وأحلام الخلاص. يقول الشاعر في النص التالي:

«أهلنا في أقاصي جنوب الجنوب!!
علا .. علا حتى عانق خيط الشمس
عمتهم النخلة منحتهم الوئام» (البصري، ٢٠١٧: ٨)

تُحيل النخلة في النص إلى دلالة الرعاية والحماية، حيث تظلل الجميع بفيئها كالعمة الحنون التي توفر الأمان والاستقرار. وهذا المعنى يتجلى في حديث النبي "أكرموا عمتكم النخلة"، الذي يشير إلى مكانتها ككائن مُكرّم يوفر العطاء والسند. في النص الشعري، ارتبطت النخلة بالوئام والانتماء، مما يجعلها رمزاً للجذور والهوية التي توحد المجتمع في جنوب العراق. هكذا تتحول من مجرد شجرة إلى رمز للأصل والتضامن، حاملةً قيماً اجتماعية وروحية عميقة. وفي المقبوس التالي يقول عبدالسادة:

«نحصلُ منك على عهد يؤالف بني قلوب العشاق
كنتِ .. على عهدك معشوقةَ كل السّمار، ومحبوبة
كل الفقراء!!
يا بنت البحر، وربيبةَ طلع النخل، ودم الحناء،
أتيناك ثقالا وخفافا،
يغمرنا الحب،
نرسمُ... نكتبُ ... ونغني ...

أرواحنا حُبلى بطعم الرطب البرحي، وهمس النورس» (السابق: ١٢)

طلع النخل وهو أول ما يظهر من ثمر النخيل، يمثّل في النص رمزاً للجمال الأصيل والنقاء، حيث يشير إلى البراءة الأولى والطهارة التي تتسم بها المحبوبة باعتبارها ربيبة طلع النخل. أما الرطب البرحي فيرمز للحب المثمر والعطاء الوفير، حيث تكتسي العلاقة بنكهة الحلاوة والخصوبة. ويشكل الرمزان معاً دورة عطاء متكاملة تبدأ بالبراءة وتنتهي بالنضج. كما يربط الرمزين المحبوبة بجذورها الحضارية والطبيعية في جنوب العراق. هكذا تتحول المحبوبة إلى كائن أسطوري يجسد خصال الأرض من عطاء وحنان. ويقول الشاعر في النص التالي:

«جئنا نسبق اللهفة

نداري كل بوح القلب

نمشي ... والخطى زفة

أبواب الصّاج، الشناشيل، تروي حكايات الأهل

نوارس ترقص وتغني، في عرسك كان لقاء الشارع بالشارع والحارة

بالحارة، النهر يعانق نهراً، أعذاق النخل تزمّر» (السابق: ١٢)

تمثل أعذاق النخل في النص رمزاً للبهجة والخصوبة، حيث تندمج في المشهد الاحتفالي للعرس لتعبر عن فرح عميم يتجاوز الإنسان ليشمل الطبيعة بأكملها، فتحولت الأعذاق من مجرد ثمار إلى كائنات موسيقية تزمر مشاركةً في الأجواء الاحتفالية، مما يؤكد على الوئام بين الإنسان ومحيطه الطبيعي وانصهارهما في لحظة واحدة من الفرح والكرم والعطاء. وفي ما يلي يقول البصري:

«لن أختلف معك بشيء يا (والت ويتمن)

لحيتك مليئة بالفراشات

ولحيتي مشعثة بغبار الحروب

شوارعك تكنسها الرياحين

وشوارعي يبللها الأرق» (السابق: ٢٠)

تمثل الرياحين في هذا النص رمزاً للحياة المعتنى بها والنظام والجمال الآمن، حيث تظهر كعنصر يُستخدم في تنظيف الشوارع وتزيينها، مما يعكس واقعاً مزدهراً ومستقراً. وهذا الترميز يقف على النقيض تماماً من واقع الشاعر الذي تبلله مشاعر الأرق والقلق، لترمز الرياحين بذلك إلى الرفاهية والنظام الذي يفتقده الشاعر في محيطه، مؤكدة على الهوة السحيقة بين عالمين: أحدهما يعيش جماليات الحياة اليومية والآخر يعاني من ويلات دائمة. وفي المقبوس التالي يقول الشاعر:

«رجل...

على ربوة ...

ترك قبعته المثقوبة جانباً
وغفاً ....
قرب شجيرة جميزة
في أحراش بوليفيا» (السابق: ٢٢)

تمثل شجيرة الجميز في هذا النص ملاذاً وجودياً يؤكد على التواصل الإنساني مع الطبيعة، حيث تتحول من مجرد نبات إلى حاضنة للرجل المتعب الذي وجد في ظلها ملجأً للراحة والاستسلام. كما ترمز الشجيرة إلى الجذور والأصالة، حيث تعيد ارتباط الإنسان بالأرض في لحظة انكشاف وهروب من صخب الحروب ووطأة الواقع. وفي ما يلي:

«وجهي يألفُ درباً
والدرب سيفضي بي
صوب دروب أبكتني، وبكت حتما.
قدماي المرتجفتان تحولتا
إلى شجرتي سرو
وعيناي نجوم ليالٍ داكنة الظلمة.» (السابق: ٢٧)

تمثل شجرتا السرو في هذا النص تحولاً رمزياً من الضعف البشري إلى الخلود النباتي، حيث تتحول القدمان المرتجفتان – رمز التعب والضعف – إلى شجرتي سرو ترمزان إلى الصمود والثبات والديمومة، وذلك في مواجهة الظلمة الوجودية التي تمثلها الليالي الحالكة، لتعيد هذه الشجرة الخالدة تشكيل هوية المتكلم من كائن ضعيف إلى كائن متجذر يصمد أمام ظروف الحياة القاسية. ويقول الشاعر في النص الآتي:

«وضاعت كل وصاياك،
أيتها النائمة قرب شجرة سدرٍ
منذ سنين
وتفتت بين يدي وعلى أرصفة الحلم
الإرثُ.
والدربُ على حالته الأولى
مللتُ أنا ..
وأقدامي ألفت شوك الرحلة» (السابق: ٢٨)

شجرة السدر في هذا النص ترمز للأصل المفقود والوصايا الضائعة، حيث ترتبط بحالة من السكون والموت بوصف الشخصية "نائمة" قربها، مما ينعكس ارتباط الشجرة بالذاكرة القديمة والتراث الذي لم يعد قادراً على

الحماية أو العطاء. في المقابل، يرمز "شوك الرحلة" إلى المعاناة المستمرة والألم الذي أصبح مألوفاً للشاعر، حيث تحولت رحلته إلى اختبار دائم للألم، مما يؤكد القطيعة مع براءة الماضي ودفء وصاياه، ويؤسس لواقع جديد قائم على التمزق بين ميراث لم يعد مجدياً وطريق لا يزال شائكاً.

. دلالات الرموز المائية

لم تعد الرموز المائية في الشعر العربي المعاصر مجرد مشاهد طبيعية تزين القصيدة، بل تحولت إلى لغة رمزية عميقة تعبر عن هُوية الشاعر وهمومه الوجودية. فالبحر والنهر والمطر والندى لم تعد مياهًا جامدة، بل أصبحت كائنات حية تحمل أسئلة الذات عن الوجود والموت والحب والضياع. لقد استطاع الشعراء المعاصرون أن ينفخوا في هذه الرموز روحًا جديدة، فجعلوها وعاءً لتجاربهم الشخصية وانعكاسًا لتحولات المجتمع، محولين إياها من دلالاتها التقليدية المباشرة إلى إيحاءات نفسية وفلسفية معقدة.

وتمتد دلالات هذه الرموز لتشكل شبكة معبرة عن أبرز القضايا التي شغلت الشعر المعاصر، فغدا البحر رمزًا للوجود واللانهاية والغموض، تارةً يكون ملاذًا للحلم وتارةً أخرى قبرًا للغرقى. بينما مثّل النهر استمرار الحياة والتراث والجذور الضاربة في التاريخ. وأصبح المطر في دلالته الجديدة غسيلًا للذنوب أو دموعًا للسماء على واقع مرير، في حين تحول الندى إلى رمز للبراءة والجمال الآفل. وهكذا لم تكن هذه الرموز منفصلة عن واقع الإنسان المعاصر، بل شكلت مرآة عكست صراعه بين الماضي والحاضر، وبين اليأس والأمل. والشاعر العراقي المعاصر عبدالسادة البصري استخدم هذه الرموز المائية بكثرة في شعره بدلالات موحية نذكر منها:

«رائحة الصندل، مواويلُ الطواشّات
حنينُ البحارة، رقصاتُ الموج على الشاطئ
أحلام صبانا، نحملها ...
أيقونة نذر في الأعناق .. ونأتي ..
مجبولين بشوق يلهمنا الكلمات الولهى، نطرقُ أبوابك،
يا بنت البحر، وسليلةَ الأمطار، وأخت الشط» (السابق: ١١)

تُشكِّل الرموز المائية في هذا النص نسيجاً حيوياً يعبر عن الهوية والانتماء والاشتياق. فالبحر لا يظهر كمجرد مسطح مائي، بل هو أصلٌ وجودي تُنسب إليه المحبوبة/ بنت البحر، مما يمنحها سمةً من الغموض والعمق والتحرر. كما تتحول "رقصات الموج على الشاطئ" إلى ذاكرة جمالية حية، تجسد اللحظات البهيئة والاتصال الدائم بين الإنسان ومصدر حياته. وتمتد هذه الدلالة لتشمل "الشط" الذي يمثل نقطة اللقاء والحد الفاصل بين عالمي البر والبحر، بين الواقع والحلم. من جهة أخرى، ترمز "الأمطار" إلى العطاء والتجديد والنقاء، حيث أن اتصاف المحبوبة بكونها "سليلة الأمطار" يضفي عليها هالة من القداسة والخصوبة، فهي مصدر الحياة والنماء.

تحولت هذه الرموز مجتمعةً إلى أيقونة روحية تحمل أحلام الصبا وتجسد الحنين إلى ذلك المصدر الأول للجمال والحياة. وفي النص التالي يقول الشاعر:

«أقمنا للشمس عمارات، تحمل أختام ضحايا قدمناها وقرابين

لتبقى بنت البحر

العذرا

سليلة رب الأمطار

أبد الهر نقية

والعاشق والمعشوق صنوانٍ من فرح لينهض بستانُ ربيع أخضر» (السابق: ١٤)

تُحيل الرموز المائية في هذا النص إلى أصول قداسة الأنثى ومصادر طهارتها الأزلية، حيث تتحول "بنت البحر" إلى كيان أسطوري ينتمي إلى عالم الآلهة، فالبحر هنا ليس مجرد مكان بل هو أصلٌ وجودي يمنحها صفة التحرر والغموض والخصوبة التي لا تنضب. وتتكامل هذه الصورة مع تسميتها "سليلة رب الأمطار" لترسيخ هذا البعد الإلهي، فالمطر هو عطاء السماء ونعمة التطهير والتجديد، مما يجعلها تجسيداً للبراءة والنقاء الذي يتجدد باستمرار كظاهرة الطبيعة ذاتها. وهذا النقاء الأبدي هو ما يسمح بتحول العشق إلى قوة خلاّقة، فالاتحاد بين "العاشق والمعشوق" الذي أنتجه هذا الحب المقدس لا يبقى في دائرة العاطفة المجردة، بل يتحول إلى طاقة حيوية تبعث الحياة في العالم، مما يُظهر بستان ربيع أخضر كنتاج مادي لهذه العلاقة المباركة بين القوى المائية القدسية وقوة الحب الإنسانية. وفي ما يلي يقول الشاعر البصري:

«مازلت أتسكع فوق دروب ملت

أرصفتها حلمي،

بقدمين خافتين،

وعينين أكثر مطراً

من كل غيوم الدنيا!!» (السابق: ٢٦)

في هذا النص، تتحول العينان إلى رمز مائي قوي، حيث تشكلان مصدراً للدموع يتجاوز في غزارته كل غيوم الدنيا، لتعبر عن حالة من الحزن العميق والألم الوجودي الذي لا يطاق. هذه الغزارة من المطر العيني لا تقف عند حدود التعبير عن البكاء، بل تخلق تناقضاً صارخاً مع جفاف وجراح الواقع المتمثل بالدروب والأرصفة التي لم يبللها سوى الحلم، مما يجعل العينين نافذة تفيض بمشاعر الفقد والضياع أكثر مما تفيض به السماء نفسها.

– رمزية الحيوانات

يُعدّ عالم الحيوان مصدر إلهامٍ دائمٍ للأدب العربي عبر العصور، بدءاً من الشعر الجاهلي الذي جسّد العلاقة الحميمة بين الإنسان العربي والحيوان كما في لامية الشنفرى، مروراً بالقرآن الكريم الذي اتّخذ من بعض الحيوانات

عناوين لسورٍ وعبراً لأحكام، ووصولاً إلى المصنفات العربية الكبرى مثل "الحيوان" للجاحظ و"حياة الحيوان" للدميري التي أثرت المكتبة العربية بدراستها العلمية والأدبية لعالم الوحوش والطيور. وفي العصر الحديث، يحتفظ الشعر العربي بقدرته على توظيف الرموز الحيوانية بكلّ خصائصها الغريزية وسماتها المميزة لخلق صورٍ فنيةٍ تعكس الواقع بكلّ تناقضاته، حيث يتحوّل الحيوان من كائنٍ بيولوجي إلى أداةٍ فنيةٍ تكشف عن أعماق النفس البشرية وتعرّي خفايا المجتمع.

يستلهم الشاعر المبدع من رمزية الحيوانات لخلق فضاء أرحب لينقد واقع المجتمع، والتعبير عمّا يعتري الذات من مظاهر مستعرة، أو مكبوتة أو مقهورة. فالحيوان يتمكن على تجسيد المعاناة الفردية والاجتماعية، كما أن دلالاتها المتنوعة توحي باتّساع هذه المعاناة ومحيطها (العامري، ٢٠٢٢م: ٢٩٢). يقول الشاعر عبدالسادة البصري:

«نواقيسك تعزف كنائسها موسيقى الجاز
وأبواقي مخرومة أمام الناي، لأننا
رعاة لا نعرف غير الأغنام والماعز» (البصري، ٢٠١٧م: ١٧)

ترمز الأغنام والماعز في هذا النص للهوية التقليدية والبساطة الأصيلة التي يتبناها الرعاة، حيث تعكس معرفتهم الموروثة التي تقتصر على رعاية هذه الحيوانات دون الانخراط في تعقيدات العالم الحديث. يتجلى التضاد بين موسيقى الجاز العصرية التي تعزفها الكنائس وبين أبواق الرعاة المخرومة، ليبرز الانزياح الثقافي وصعوبة اندماج الهويتين. فالأغنام والماعز هنا ليست مجرد حيوانات، بل هي تعبير عن الوجود الكلي والمنظومة القيمية التي يشعر الرعاة بالانتماء إليها في مواجهة ثقافة مستوردة لا يفهمونها. وفي ما يلي يستخدم الشاعر رمزاً حيوانياً آخر:

«قلادة الصباح أضاعها البرد
ترانيم اللقيا انتشت بالترجي
لم يزل عزاؤنا الرجاء،
والجنين ملجأ خصب للأماني
الخيول مسرجة،
عبر القلب حافّة التهالك» (السابق: ١١٤)

تُحيل الخيول المسرجة في هذا النص إلى حالة الاستعداد الأخير للانطلاق نحو المجهول، فهي ليست خيولاً مستريحة أو متوحشة، بل هي مهيأة ومعدة للرحيل في أي لحظة. هذا الاستعداد يقابله جو من اليأس الذي يتجلى في فقدان قلادة الصباح وانتشاء الترانيم، مما يخلق تناقضاً بين الاستعداد الحركي للخيول والجمود العاطفي المحيط؛ كما ترمز الخيول المسرجة إلى رحلة داخلية خطيرة، حيث يقترن ذكرها بعبور القلب حافة التهالك، لتصبح

بذلك تعبيراً عن الاقتراب من حافة الموت أو المجازفة القصوى. فهي تجسيد للإرادة الأخيرة التي ترفض الاستسلام، حتى عندما يصبح الرجاء هو العزاء الوحيد والجنين ملجأ للأماني.

«الوطاويط لا تقربها والسحالي تفر منها بعيدا

داهمتها الثعالب بالحيلة فخسرت رهانها» (السابق: ١٢٧)

تمثل الثعالب في هذا النص رمزاً للدهاء والمكر المدمر، حيث تظهر كقوة خادعة تستخدم الحيلة للهيمنة على من هم أضعف، مما يجعلها نقيضاً للبراءة والضعف. فبينما تفر منها السحالي ويبتعد عنها الوطاويط، تؤكد الثعالب تفوقها في لعبة البقاء من خلال استغلال نقاط ضعف غيرها؛ كما ترمز هزيمة القوى الأخرى أمام ثعالب الحيلة إلى خسارة القيم النبيلة في مواجهة البراغماتية والمراوغة، حيث يتحول الصراع من مواجهة مباشرة إلى حرب خفية تخسر فيها البراءة رهانها.

– رمزية الطيور

أضحت الطيور في الشعر العربي المعاصر كائنات استثنائية، لا تقتصر دلالتها على الزينة أو المحاكاة، بل تحولت إلى رموز كونية تعبر عن هواجس الذات وطموحاتها. فمن خلال تحليقها وحركتها بين الأرض والسماء، تشكل جسراً رمزياً يربط بين عالمي الواقع والمثال، بين القيد والتحرر. وقد استخدم الشعراء هذه الرموز لتجسيد حالات الاغتراب والشوق إلى الحرية، كما وظفوها للتعبير عن الروح الإنسانية في سعيها الدائم لكسر قيود الزمان والمكان، مما جعل من الورقة الشعرية سماءً خاصة تحلق فيها طيور الدلالة والمعنى.

أما الأسباب الكامنة وراء شيوع هذه الرموز فتعود إلى قدرة الطيور على تمثيل ثنائيات أساسية في التجربة الإنسانية، فهي ترمز إلى الروح في صفائها، وإلى الحلم في سعته، وإلى الغياب والألم في هجراتها واغترابها. كما أن ارتباط الطيور بالغناء جعلها تعبيراً طبيعياً عن الشاعرية ذاتها، حيث يصبح الشاعر طيراً يشدو بألمه وأمله. وقد وجد الشعراء في هذه الرموز ضالتهم للتعبير عن قضايا الوجود والموت والخلود، بعيداً عن التقرير المباشر، فكانت طيورهم تجسيداً حياً لصراع الإنسان المعاصر بين جاذبية الأرض وسحر السماء. استخدم الشاعر عبدالسادة البصري عدداً من الرموز بدلالات موحية وعميقة، منها:

«الطيبون أهلنا

على عهدهم رسموا الصباح

تأشيرة عشق

أمانيهم الشمس، وهم كطائر النورس» (السابق: ٤٤)

تُحيل صورة طائر النورس في هذا النص إلى حالة من الشغف والتحليق نحو الآفاق البعيدة، حيث يرتبط الطائر بطموح الجماعة المتجهة نحو الشمس كأسمى مراتب الأمل. وتتكثف هذه الدلالة لتعبر عن نقاء الروح وشفافيتها، فالنورس – في بساطة حركته واعتياده على العيش بين عنفوان البحر واتساع السماء – يصبح مرآة

تعكس طيبة تلك النفوس وصفاءها. كما يتجاوز دور النورس كمجرد كائن طبيعي ليتحول إلى علامة على الوفاء والاستمرارية، حيث يظل محافظاً على عاداته في التنقل والعودة، تماماً كما يحافظ "الطيبون" على عهدهم وتعلقهم بجذورهم، ليصبح النورس بذلك تجسيداً حياً لروح الجماعة التي ترفض الانكسار وتظل متشبثة بأحلامها مهما تغيرت الظروف. وفي المقبوس التالي، يستدعي الشاعر هذا الطائر الجميل:

«أرواحنا حُبلى بطعم الرطب البرحي، وهمس النورس» (السابق: ١٢)

يتشكّل الهمس الهادئ لطائر النورس في هذا النص نافذةً على عالم من الرقة والصفاء الداخلي، حيث يحمل ذلك الهمس دلالةً على الأماني الخفية والأحلام التي تنتظر الولادة. إنه ليس مجرد صوت، بل هو لغة تحمل في طياتها حكايات البحر واتساعه، لتعبر عن شوق الروح إلى الحرية والانطلاق. يأتي هذا الهمس متكاملاً مع طعم الرطب البرحي الحلو، ليرسم معاً لوحةً من التناغم الحسي الذي يجمع بين لذة الطعم ورقة الصوت. هذا التزاوج بين حلاوة الرطب وهمس النورس يخلق فضاءً من الخصوبة العاطفية، حيث تتحول الأرواح الحبلى إلى وعاءٍ يحمل كل نبضات الحياة وأسرارها. وفي ما يلي يقول الشاعر:

«لم يستطع مقاومة الانتصار
أشرع للريح ذراعيه
ومط ساقيه باتساع الرحلة الأخيرة
تاركاً البوح للعصافير والسعادة للقمر!!» (السابق: ٨)

تُحيل العصافير في هذا النص إلى صوت البوح الأخير والأسرار التي تُترك معلقة في الفضاء. فبعد انطلاق الشخصية في رحلتها النهائية، تتحول هذه الكائنات إلى وعّاظ للروح، حاملةً كل ما لم يُقل من كلمات وأشواق. تتقاطع دلالة العصافير مع منحى التحرر من قيود الجسد، حيث ترمز إلى الخفة التي تلي ثقل الحياة. فبينما يشرع المنتصر للريح ويطوي ساقيه باتساع الرحلة، تظل العصافير تُردد أناشيد الوداع كشهود على لحظة التحول من عالم الأرض إلى فضاء الحرية المطلقة. وفي ما يلي يقول البصري:

«حلّقت فوق الآماني العصافير
أنى للحمامات اغتراف الفضاء» (السابق: ٩٣)

تُشكِّل الحمامات في هذا النص تجسيداً للتحليق المتسامي الذي يتجاوز حدود الرغبات البشرية. فبينما تقف العصافير عند مستوى الآماني العادية، تنزع الحمامات إلى اغتراف الفضاء ذاته، محققة اندماجاً كلياً مع الكون. تتكثف هذه الدلالة لترمز إلى التوق الإنساني نحو المطلق، حيث يتحول فعل الطيران من مجرد حركة في الفراغ إلى عملية اغتراف للوجود. فالحمامات هنا لا تطير في الفضاء، بل تتعاطى معه كوعاء تستمد منه حريتها وخلودها. وفي ما يلي يقول الشاعر:

«لن أختلف معك بشيء يا (والت ويتمن)

لحيتك مليئة بالفراشات

ولحيتي مشعثة بغبار الحروب» (السابق: ٢٠)

تُحيل الفراشات في هذا النص إلى عالم من الجمال الهش والسلام المفقود، حيث ترمز إلى البراءة والنقاء الذي تستمده من الطبيعة. إنها تشكل نقيضاً صارخاً لغبار الحروب، فترسم بذلك صورةً حية للتباين بين حياةٍ مزهرة بالجمال والأمل وأخرى غارقة في وعثاء المعارك ووحولها. وفي النص التالي استدعى الشاعر طائراً أسطورياً للتعبير عن التجدد والانبعاث:

«ذبحتُ كثيراً

صلبت كثيراً

وقمت كالعنقاء كثيراً» (السابق: ١١٣)

تُحيل العنقاء في هذا النص إلى قدرة الروح الإنسانية على تجاوز المحن والانبعاث من رماد المعاناة. فالتكرار المقصود لعبارة "كثيراً" يؤكد تواتر الأزمات وتراكمها، ليأتي صعود العنقاء كاستجابة حتمية لدورة الألم، حيث يتحول الذبح والصلب إلى محطات ضرورية للولادة الجديدة. لا تكتفي العنقاء هنا بتمثيل البعث الفردي، بل تتجاوزه إلى تجسيد إرادة الحياة المتجددة التي ترفض الاستسلام.

– رمزية الظواهر الطبيعية

تُشكِّل الظواهر الطبيعية في النصوص الشعرية إطاراً رمزياً حيوياً، لا يقتصر على تجسيد المشاهد بل يتعداه إلى تكثيف الرؤية الإنسانية للعالم. فالشمس والريح والمطر والنجوم والأشجار والبحر، تتجاوز كونها عناصر طبيعية محايدة لتصير كيانات فاعلة ومحملة بدلالات عميقة. إنها تتحول إلى لغة ثانية، تعبر من خلالها الذات الشاعرة عن أحوالها الوجودية؛ من معاناة ويأس، إلى أمل وتحرر، فتصبح هذه الظواهر شواهد على حال الإنسان وشريكاً في صمته وصيحته.

وتمتد هذه الرمزية في شعر عبدالسادة البصري لتشكل عالماً متكاملاً من الإيحاءات، حيث تتحول بعض التجليات الشمسية إلى قوى قمعية تلتهم الأحلام، بينما تسبح تجليات أخرى في العيون كحلم منشود. ويغدو الليل فضاءً للصعود إلى النجوم، والريح ملهاة يُلْعَكُ بها اليأس، والأشجار والبحر أرشيفاً للذاكرة الجمعية يحفظان الدمعة والأغنية. هكذا لا تظهر الطبيعة هنا كخلفية زخرفية، بل كفاعل رئيسي في تشكيل المعنى، ينقل القصيدة من حيز التصوير إلى فضاء التأويل، مجسدة بذلك علاقة جدلية بين الوجود الخارجي والقلق الإنساني الداخلي. استخدم الشاعر عدداً كبيراً من الظواهر الطبيعية في ديوانه بدلالات رمزية موحية. يقول في النص التالي:

«ينادمون قصائد (نيرودا)

ويسمرون مع (أوكتافيوباث)

يقصون أشعارهم.. كالحكواتي

ويلعكون الريح!!!!
الحاملون صلبناهم.. عيونهم الأمل ..
بيوتهم أحلام..
والفرح لعبتهم القاتلة
لكي يصافحوا النجوم.. يفترشون الليل
ولكي يصاحبوا التجوال.. يقتعدون الرصيف!!
الحاملون صلبانهم.. قمصانهم الرمل
وشاهدة قبورهم.. أزهار برية!!» (السابق: ٥)

تتجلى الرموز الطبيعية في هذا النص لتشكل نسيجاً وجودياً يعبر عن حالة الشخصيات المحورية، حيث تتحول الريح إلى مادة للمضغ والعلك، كتعبير صارخ عن العبث واليأس من حوار لا يجدي، بينما يتحول الليل إلى بساط للمنامة وطريق للوصول إلى النجوم التي تمثل الحلم البعيد والأمل المتعذر لمسه. أما الرمل الذي يتشكل منه قمصانهم، فيرمز إلى الهشاشة وعدم الاستقرار، حيث تذوب هويتهم في مادة عابرة لا تحتفظ بشكل. في المقابل، تتحول الأزهار البرية على شواهد قبورهم إلى دلالة مفارقة، فهي تعبر عن الجمال المتولد من المعاناة والحياة المتجددة رغم الموت، لتؤكد أن ذكراهم ستظل حية كزهرة برية لا تقهر. وفي قصيدة أخرى تحمل الشتاء يقول الشاعر:

«الرجال الخشب الذين
وسمتهم الشمس،
أبرموا اتفاقيةً مع الطقس
في المطر ....
يقيمون الولائم قرب المواقد
ورحلات صيدهم
ساعة إذ تهدأ الريح !!!!!» (السابق: ٦)

تتحول الظواهر الطبيعية في هذا النص إلى قوى فاعلة تحدد إيقاع حياة "الرجال الخشب" وتشكل هويتهم الوجودية. فالشمس هنا تترك بصمتها عليهم كوسم دائم، مما يرمز إلى تأثير القدر المحفور في كينونتهم، بينما تعكس "الاتفاقية مع الطقس" محاولتهم المستميتة للتواؤم مع قوى الطبيعة العظمى التي تتحكم بمصيرهم. وتتجلى هذه العلاقة التبعية بشكل أوضح في انتظارهم لهدوء الريح لبدء رحلات الصيد، وكأن حياتهم بأكملها رهينة بتقلبات العناصر الطبيعية، مما يؤكد عجزهم أمام جبروت الطقس ويجسد حالة الانتظار الدائم التي يعيشونها بين لحظات ندرة القوت ونذر الخطر. وفي النص التالي يقول البصري:

«تعالي ..
نبتكر لأفراحنا صباحات أخرى
ننشر أسماءنا تحت شمس حانية
ونلوذ بأسماء أكثر برودة منا
نمشي على الجمر فنحسبه جليدا
ونحرك ما بداخلنا
أيتها اللا اسميها .. تعالي ..
شمس الحجابات أكلت أحلامنا
وشمس السواتر أجهزت على ما تبقى» (السابق: ٢٣)

تتجلى الرموز الطبيعية في هذا النص حاملةً أبعاداً ثنائية تتراوح بين الأمل واليأس. فالصباحات الأخرى ترمز إلى بدايات جديدة وأزمنة مبتكرة تليق بالأفراح، بينما ترمز الشمس الحانية إلى الاعتراف والظهور في فضاء دافئ يليق بالهوية. وفي المقابل، تعكس برودة الأسماء والجليد واقعاً متجمّداً من الاغتراب، حيث تصل المفارقة إلى ذروتها حين يتحول الجمر إلى ما يشبه الجليد، كتعبير عن آليات التكيف مع المعاناة. أما أكثر الدلالات إثارة فتكمن في الوجه المزدوج للشمس، فهي تارةً مصدر للدفء والحيوية، وتارةً أخرى تتحول إلى شمس حجابات وسواتر، تمثل قوى القمع التي تلتهم الأحلام وتقضي على ما تبقى منها. هذا التشظّي في دلالة الشمس يسلط الضوء على كيفية تحول عناصر الحياة والأمل إلى أدوات قمع عندما تسيطر عليها قوى التشويه والإخفاء. وفي النص التالي يقول الشاعر:

«الرجل ذو اللحية السوداء
كان قميصه مثقوبا ...
من الجهة اليسرى
وقلبه خارطة العالم
وفي عينيه....
تسبح ..... شمس الحرية!!!!!» (السابق: ٢٢)

تتجلى الشمس في هذا النص كقوة تحررية نهائية، تسبح في عيني الرجل كحلم متجدد رغم ثقوب القميص وجراح القلب. فهي لا تمثل مجرد بصيص أمل، بل هي رؤية كونية تملأ الأعماق، وتعلن أن الحرية طاقة داخلية قادرة على اختراق ظلام الواقع. تتحول العينان هنا إلى محيط لهذه الشمس، لترمز إلى أن جذوة التحرر لا تنطفئ رغم الفقر والمعاناة، بل تظل حية في أعماق الإنسان، تشع من نظرته وتؤكد أن الحرية حالة ذهنية يمكن أن تسبح في عيني من تقطع قميصه. وفي المقبوس التالي يقول الشاعر:

«فمتى يبزغُ قمر يضحك
ويُهدي للروح أمانيها
ويرحل ليل الخوف!!!» (السابق: ٢٩)

يتحول القمر في هذا النص إلى بشارة بالخلاص والانعتاق، فهو ليس جسماً سماوياً عادياً، بل قمرٌ يضحك ويمنح الأماني، مما يجعله رمزاً للفرح المتحقق والطمأنينة التي تملأ الروح. أما ليل الخوف فيمثل حالة من القلق والكوابيس التي تلفّ الوجود، ورحيله يعني زوال تلك الحالة المظلمة والتحرر من أسرها. يصبح بزوغ القمر الضاحك وانحسار ليل الخوف تعبيراً عن اللحظة المنتظرة التي تنتقل فيها النفس من سجن الخوف إلى فضاء الأمل والسلام.

نتائج البحث

توصّلت هذه الدراسة إلى نتائج أهمّها ما يلي:

– تشكل الرموز النباتية في الديوان نسيجاً دلالياً يعبر عن الهوية الجنوبية، حيث تتحول النخلة إلى رمز للجماعة والتضامن، بينما تجسد أشجار السرو معاني الصمود والخلود في وجه المعاناة. وتمثل السدر صلة الوصل بالتراث والأصل، فيما تعبر الرياحين عن التوق لجمال مغيب في واقع التشظي والصراع.

– أما الرموز المائية فتشكل عالماً وجودياً يعبر عن التحول والانتماء، حيث يتحول البحر إلى فضاء للذاكرة والتحرر، بينما يجسد المطر طهرانية التجديد والأمل. وقد تحولت العيون إلى أنهار دموع تعكس الصراع بين فيضان المشاعر وجفاف الواقع، مما يخلق تعارضاً مؤلماً بين الداخل والخارج.

– وتجسد رموز الحيوانات والطيور الصراع بين الأصالة والحداثة، فالأغنام والماعز ترمز للهوية التقليدية في مواجهة ثقافة مستوردة، بينما يمثل النورس الشوق للتحليق نحو آفاق الحرية. وتأتي العنقاء تعبيراً عن إرادة الحياة المتجددة وقدرة الروح على النهوض من رماد المعاناة.

– أما الظواهر الطبيعية فاتسمت بثنائية دلالية عميقة، حيث تتراوح الشمس بين كونها مصدراً للدفء والحياة وأداة للقمع والإخفاء، ويتحرك الليل بين دلالتي الخوف والقلق وبين كونه فضاءً للأمل والتحرر. كما تجسد الريح صورة العبث واليأس، بينما ترمز الأزهار البرية إلى استمرار الحياة رغم الموت والمعاناة.

– شكلت هذه الرموز بمجملها نظاماً دلالياً متكاملاً، يجسد رؤية الشاعر للعلاقة الجدلية بين الإنسان والطبيعة، معبراً عن هموم الذات والجماعة في إطار فني يجمع بين الخصوصية المحلية والعالمية الإنسانية، مما يجعل من النص الشعري فضاءً رمزياً خصباً للتأويل والقراءة.

المصادر

– ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري. (٢٠١٦م). لسان العرب. بيروت: دار صادر.

– أحمد، محمد فتوح. (١٩٧٧م). الرمز والرمزية في الشعر المعاصر. القاهرة: دار المعارف.

– الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد. (٢٠١٧م). تهذيب اللغة. تحقيق عبدالعليم البردوني. مصر: الدار المصرية للتأليف والترجمة.

– الأمين، قلوش محمد. (٢٠٢٠م). «تجليات الرمز الديني في الشعر العربي المعاصر/ديوان "لا تسرقوا الشمس" لإبراهيم مقادمة أنموذجا». رسالة ماجستير. جامعة أبو بكر بلقايد.

– أنيس، إبراهيم وآخرون. (١٩٧٢م). المعجم الوسيط. القاهرة: المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر.

– البصري، عبدالسادة (٢٠١٧م): لهم تغريبة واحدة، بيروت، جيكور للطباعة والنشر والتوزيع.

– بوسقطة، السعيد. (٢٠٠٨م). الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر. الجزائر: مؤسسة بونة للبحوث والدراسات.

– التونجي، محمد. (١٩٩٩م). المعجم المفصل في الأدب. بيروت: دار الكتب العلمية.

– الخفاجي، محمد عبد المنعم. (١٩٩١م). ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان. بيروت: دار الجبل.

– رماني، إبراهيم (١٩٨٥م). أوراق في النقد الأدبي. الجزائر: دار الشهاب للطباعة والنشر.

-------- (٢٠٠٨م). الغموض في الشعر العربي الحديث. الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.

– رشيدة، أغبال. (٢٠٠٦م). «الرمز الشعري لدى محمود درويش». مجلة علامات (٢٦): ١٥٩- ١٤٩.

– الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر. (٢٠١٤م). أساس البلاغة. بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر.

– الشمري، حافظ محمد عباس. (٢٠١٣م). الفكر في الشعر الحديث. الأردن: مركز الكتاب الأكاديمي.

– العامري، ياسر فضل صالح. (٢٠٢٢م). «رمزية الحيوان في شعر محمد حسين هيثم». مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية (٢٥): ٢٨١-٣٠٠.

– عبو، عبدالقادر (٢٠٠٠م). مركزية التأويل للتواصل ومحاورة النص الشعري المعاصر (من الجرجاني إلى تودوروف وجاكبسون). مجلة كتابات معاصرة ١١ (٤١): ٩٨-١١٢.

– عشري زايد، علي. (١٩٩٧م). استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر. القاهرة: دار الفكر العربي.

---------- (١٩٩٧م). عن بناء القصيدة العربية الحديثة، القاهرة: مكتبة الآداب.

فتحي، إبراهيم. (١٩٨٦م). معجم المصطلحات الأدبية. تونس: التعاضدية العمالية للطباعة النشر.

– الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. (١٩٥٢م). القاموس المحيط. القاهرة: مكتبة الحلبي.

– القيرواني، ابن رشيق. (١٩٦٣م). العمدة في محاسن الشعر ونقده. تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد. مصر: مطبعة السعادة.

– كرج، جاكوب. (٢٠٠٤م). مقدمة في الشعر؛ ترجمة رياض عبدالواحد. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

– كعوان، محمد. (٢٠٠٩م). التأويل وخطاب الرمز. (قراءة في الخطاب الشعري الصوفي العربي المعاصر). الجزائر: دار بهاء الدين للنشر والتوزيع.

– الكواز، محمد كريم. (٢٠٠٦م). البلاغة والنقد. بيروت: الانتشار العربي.

– مطلوب، أحمد. (١٩٨٧م). معجم المصطلحات البلاغية وتطورها. العراق: مطبعة المجمع العلمية.

– ناصف، مصطفى. (١٩٨٣م). الصورة الأدبية. بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر.

– نشاوي، نسيب. (١٩٨٤م). المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

التنظيرات والنقد في الأدب العربي
السنة الرابعة، العدد ٢٠، شتاء
١٤٠٤هـ، ٢٠٢٦م، صص٤٠-١٩

مقاله پژوهشی
DOI: 10.22034/jral.2026.587666.1111

کاربرد نمادهای طبیعی و دلالت‌های آن‌ها در دیوان «لهم تغریبهٔ واحدهٔ» اثر عبدالساده بصری

أسیل جاسم عباس أحمد شریفی*

تاریخ دریافت: ۱۴۰۵/۰۲/۲۹
تاریخ پذیرش: ۱۴۰۵/۰۴/۰۴

چکیده

نمادهای طبیعی از برجسته‌ترین ویژگی‌های هنری شعر معاصر عربی به شمار می‌آیند و به شاعر این امکان را می‌دهند که با بهره‌گیری از عناصر طبیعت، اندیشه‌ها، احساسات و جهان‌بینی خود را در قالبی نمادین و چندلایه بیان کند و به متن شعری غنا و عمق ببخشد. مجموعه شعر «لهم تغریبهٔ واحدهٔ» سرودهٔ عبدالساده بصری، نمونه‌ای شاخص از این نوع کاربست نمادهای طبیعی است؛ به‌گونه‌ای که عناصر طبیعت در آن به نظامی معنایی تبدیل می‌شوند که هویت، خاطره، هستی و تجربه زیسته شاعر را بازنمایی می‌کند. ازاین‌رو، پژوهش حاضر با هدف شناسایی مهم‌ترین نمادهای طبیعی این دیوان و تحلیل کارکردهای معنایی و هنری آن‌ها در بستر شعر انجام شده است. این پژوهش با بهره‌گیری از روش توصیفی ـــ تحلیلی و با تحلیل نمونه‌هایی از اشعار دیوان، به بررسی گونه‌های مختلف نمادهای طبیعی و دلالت‌های آن‌ها پرداخته است. یافته‌های پژوهش نشان می‌دهد که شاعر از نمادهای گیاهی، مانند نخل، سرو و سدر، برای بیان هویت جنوبی، تعلق‌خاطر و پایداری بهره گرفته است. همچنین نمادهای آبی، از جمله دریا و باران، بیانگر مفاهیمی چون هستی، نوزایی، امید و رهایی هستند. افزون بر این، پرندگان و نمادهای جانوری، به‌ویژه مرغ نورس و ققنوس، مفاهیم آزادی، رستاخیز و غلبه بر رنج را بازنمایی می‌کنند. پدیده‌های طبیعی، مانند خورشید و شب، نیز دارای دلالت‌هایی دوگانه‌اند؛ به‌گونه‌ای که خورشید گاه نماد زندگی و توانمندی و گاه نشانه سلطه و سرکوب است و شب نیز هم‌زمان معانی هراس و امید را در خود جای می‌دهد. بنابراین نمادهای طبیعی در این دیوان صرفاً جنبه آرایه‌ای ندارند، بلکه شبکه‌ای منسجم از معنا را شکل می‌دهند که در تعمیق جهان‌بینی شاعر و غنای فکری و زیبایی‌شناختی شعر او نقش اساسی ایفا می‌کند.

کلمات کلیدی: نمادها، طبیعت، دلالت، عبدالساده بصری، دیوان «لهم تغریبهٔ واحدهٔ».

---

۱. استادیار آموزشی در مدرسه متوسطه دخترانه «پایتخت فرهنگ»، عراق. ایمیل: asil_sharifi@gmail.com